

الوافي في الوفيات

أحبا بـنا إن وـنـتْ عـنـي رسائلكم ... فـلـسـتْ أسألُ إلّا الفصل والحسبا .
وحياتكم ما لنفسي عنكم بدل ... كلا ولا اتـخـذتْ في غيركم أرـبا .
أُعـيـذُ ودّكم من أن يغيـرـه ... نأى ولا جـرّـدـتْ من دون ذاك طـبـى .
لعلّـ دهرًا قضى بالبعد يجمعنا ... وقلّـ ما جاد دهرٌ بالـذـي سلبا .
أرضى بحكم زمانى وهو يظلمنى ... فيكم وأجنى ببعدي عنكم التعبا .
ولن يُطـفـّرَـنـي إلّا بـودّكم ... يا حيرتى فيكم إن ردّـ ما وهبا .
نسيتمونى ولم أعتدّ سوى كـرـم ... منكم يُـبـوؤنـي من فضلكم رُـتـبا .
حاشاكم أن تـرـووا هجري بلا سبب ... أو تجعلوا البين فيما بيننا حـُـجـبا .
عاقبتمونى ولا ذنبٌ أتيتُ به ... فـقـُلْ عن الصخر إذ يقسو ولا عجا .
عودوا إلى جبر كسرى لا فـجـعـتْ بكم ... فـقـد لقيتُ ببعدي عنكم نصبا .
وكتب هو إليّ وأنا بدمشق وهو بصفد وقد طنّـ أنـي لمّا كنت بالقاهرة تملأتُ عليه
وعلم أنّ كافٍ :

إن كان ظنّك أنـي لك ظالم ... فارحمْ لأن تُسـمـى بأـنـك راحمٌ .
حسبُ المسيء من القصاص بأـنـه ... جرحٌ بجرحٍ والسعيد مسالمٌ .
كم قد حرصتُ على التـنـصّلِ عندما ... وقع العتابُ فما أقالـ الحاكمُ .
أنّ يعلم أنـي لك عاذرٌ ... وأنّ منّي بالبراءة عالمٌ .
ها قد جرى لي ما جرى لك قبلها ... ووقعتُ في صفدٍ وأنفى راغمٌ .
إن صحّ لي فيها عليك جناية ... فجزاؤها هذا العقابُ اللازمُ .
فاقنعْ به واذكر قديمَ مودّتي ... فالعهدُ فيما بيننا متقادمٌ .
أولـم يكنْ ذنبٌ وحالى ما ترى ... فامدّدْ إليّ يداً وجاهك قائمٌ .
فلقد تأتّى ما تريد فوالـي ... منك الجميلـ فأزّـه لك دائمٌ .
جارّ الزمانُ على وليّك واعتدى ... وإليك للزمن الألدّ يخاصمٌ .
من كان ليس بنادمٍ مُستدرِكٍ ... فأنا عليك إلى مماتى نادمٌ .
كانتْ هناةٌ وانقضتْ ومـنـ الذى ... منّا وليس له تـعـدّـ جرائمٌ .
إنّ الذى قـسـمَ الحظوظَ كما يشا ... للرزقِ ما بين البرايا قاسمٌ .
قُلْ وكثُرٌ وليس تبقى حالة ... والدهر بين الناس بانٍ هادمٌ .
يا من له أخلصتْ كنّ لي مخلصاً ... فعلى مُجـارينا كلانا قادمٌ .

أعلنتُ بالشكوى لضرِّ مَسَّني ... لكنَّ ودِّي في الحقيقة سالمٌ .
ولك السيادة حليةٌ ومكارمٌ ... الأخلاقِ منها في يدك خواتمٌ .
فاقبلُ أخوَّتيَ الجديدةَ إنَّني ... فيها لمجدك أو لودِّك خادمٌ .
وإلى الرِّضى عُدُّ بي وللحُسنى أَعِدُّ ... حتَّى تقومَ على الصفاءِ علائمٌ .
والبسُّ رياستك السنية حُلَّة ... أبدأ لها من نسج سعدك راقمٌ .
واجعلُ لها شكرًا إقالةَ عثرةٍ ... من صاحبٍ قد صدَّ عنه العالمُ .
أنتَ الخليلُ بل الخليُّ من الهَوَى ... وأخوَّتي قد جرَّها لك آدمٌ .
فأعِنْ أخاك بحسن سعيك مرَّةً ... إنَّ المغارمَ في الإخاء مغانمٌ .

ولم يزل في كتابة الإنشاء بدمشق إلى أن طلبه القاضي علاء الدين بن فضل إلى باب
السلطان بمرسوم السلطان الملك المظفَّر فتوجَّه هو وولده شهاب الدين أحمد إلى الديار
المصرية في البريد . ورُتِّبَ زين الدين المذكور موقِّعاً في الدَّسَّات الشريفة بالأبواب
السلطانية وكان توجَّه من دمشق في يوم عيد الأضحى سنة سبع وأربعين وسبع مائة وأقام هناك
إلى أن توفي C وسامحه في ثامن عشرين صفر سنة تسع وأربعين وسبع مائة بعد مرض طويل قاسى
منه شدَّة .

ووقفتُ له على كتاب كان قد كتبه من صفد بخطِّه إلى القاضي علاء الدين ابن فضل وهو

: